

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## تقديم

### حول قصة هذه المناظرة التاريخية

كان الدكتور فرج فودة ، واحداً من أقرب المستشارين والمشيرين - فى الشأن الإسلامى - إلى الرئيس حسنى مبارك . . وكان عدااء الرجل لتطبيق الشريعة الإسلامية وللحركات الإسلامية عدااء معلنا وصارخاً لم يسبق له مثيل فى استفزازه وشدته وحدته . حتى أنه كان يتلذذ بالمبالغة فى هذا العدااء والاستفزاز ! . وكانت جماعة الإخوان المسلمين - المحجوبة عن الشرعية - قد نجحت - من خلال حزب العمل - فى الدخول إلى مجلس الشعب سنة ١٩٨٧م بأعداد لم يسبق لها مثيل فى تاريخ الجماعة.. بينما رسب فرج فودة - فى ذات الانتخابات - رغم ترشيح الكنيسة له فى حى شبرا - ذى النسبة الملحوظة من الناخبين الأقباط - ورغم الأموال الطائلة التى ساعده بها رجل الأعمال القبطى - وثيق الصلة بالمعونات الأمريكية - المهندس نجيب ساويرس ! وبعد سقوط فرج فودة فى الانتخابات . . وعندما ذهب الدكتور مصطفى الفقى - وكان سكرتيراً لحسنى مبارك - إلى الأنبا شنودة

لترشيح الأقباط الذين سيعينون بمجلس الشعب ، كان رأى شنودة :  
أن تعيين فرج على فودة أهم للكنيسة من تعيين أى واحد من  
الأقباط ! .

ولقد ظلت رعاية ساويرس لفرج فودة ولفكره قائمة  
ومتصاعدة . . فأنشأ له «الجمعية المصرية للتوير» ، يمارس  
منها نشر الفكر المعادى للشريعة وللحركات الإسلامية .

ولقد نجح فرج فودة فى إقناع حسنى مبارك بنظرية «تجفيف  
منابع التدين» لتجفيف منابع الانتماء للحركات الإسلامية  
المطالبة بتطبيق الشريعة ، ودعا إلى إنشاء النوادى والمسارح  
ودور السينما بدلاً من المساجد - التى اتهم الحكومة بأنها تزايد  
من خلالها على الحركات الإسلامية ! . .

ولقد شمل هجومه المستفز الأزهر الشريف وشيخه الجليل  
الإمام الأكبر جاد الحق على جاد الحق - فى صحيفة «الأهالى» ،  
لسان حال حزب التجمع اليسارى - . .

وفتحت وسائل الإعلام الحكومية والعلمانية صفحاتها  
وبرامجها لكتابات وآراء فرج فودة . . وأخذ يعقد الندوات  
بالجامعات ومؤسسات الثقافة ، حتى غدا أشهر نجوم التهجم على  
الشريعة الإسلامية ودعاتها أوائل عقد التسعينيات من القرن  
العشرين .

● وكان الدكتور محمد أحمد خلف الله ، واحداً من غلاة العلمانيين العرب . . كان بعثى الفكر والهوى . . وصديقاً للأستاذ ميشيل عفلق [١٩١٠ - ١٩٨٩م] . . وعلى حين تطور فكر ميشيل عفلق إزاء مكانة الإسلام فى مرجعية النهضة الحضارية للأمة العربية ، حتى قال : «الإسلام أولاً» بعد أن كان يقول : «القومىة أولاً»<sup>(١)</sup> . . ظل خلف الله - الذى أصبح من قيادات حزب التجمع اليسارى - يردد مقولات كتاب [الإسلام وأصول الحكم] - التى سبق وتراجع عنها الشيخ على عبدالرازق [١٣٠٥ - ١٣٨٦هـ - ١٨٨٧ - ١٩٦٦م] - . . ظل خلف الله يردد مقولات علمنة الإسلام ، وينكر بناء الرسول ﷺ أمة ودولة وحكومة . . ويقول : «لم يكن نبي الإسلام فى أى وقت من الأوقات ملكاً أو رئيس دولة ، وإنما ظل دائماً النبى الرسول»<sup>(٢)</sup> .

● ومع سقوط الماركسية ومعسكرها الشيوعى أوائل سنة ١٩٩١م . . وتوحد قبضة الحضارة الغربية - التى اتخذت الإسلام عدواً أحلته محل العدو الأحمر - صعد العلمانيون المصريون -

---

(١) انظر كتابنا [التيار القومى الإسلامى] طبعة دار الشروق . القاهرة سنة ١٩٩٧م .

(٢) دكتور محمد أحمد خلف الله «النص والاجتهاد والحكم فى الإسلام» مجلة العربى - الكويت - عدد يونيو سنة ١٩٨٤م .

وعلى رأسهم فرج فودة - من نبرة العداء للتوجه الإسلامى - الذى أطلقوا عليه «الفكر الظلامى»! - . . . منتحلين لأنفسهم شعار «التنوير» . . . فعقدوا ندوات معرض القاهرة الدولى للكتاب سنة ١٩٩٠م تحت شعارك «مائة عام من التنوير» . . . وتحت ذات الشعار احتفلوا بمئوية مجلة «الهلال» سنة ١٩٩٢م . . . ثم أعادوا إصدار تراث العلمانية والتغريب - الذى نشر فى عقود الانبهار بالغرب أوائل القرن العشرين - تحت شعار «المواجهة والتنوير» - أى مواجهة الفكر الإسلامى - الذى سموه الظلامى! - بالتنوير العلمانى . . . وفى هذه الحملة الفكرية - التى وصفت «بالحرب»<sup>(١)</sup> - كانوا يصدرون فى كل يوم كتاباً يبيعونه بأقل من تكلفة الغلاف! . . . بل لقد كانوا يوزعون هذه الكتب - التى تصدر يومياً - هدايا مجانية على المدارس والجامعات والأندية والمؤسسات والأفراد! . . . كما نظموا المهرجانات الثقافية فى محافظات مصر ومدنها لتقديم هذا «التنوير العلمانى» الذى أرادوا به مواجهة ما سموه «ظلامية الإسلام»! . . .

● فى هذا المناخ الفكرى - بل الحرب الفكرية غير المسبوقة - خطط التيار العلمانى - بقيادة فرج فودة وخلف الله - مع الدكتور

(١) صحيفة «الحياة» - لندن - فى ١٠/٥/١٩٩٣م .

سمير سرحان - رئيس الهيئة العامة للكتاب - وصاحب الخلفية الفكرية الماركسية ، والانتماء الشيوعي السابق . . . خططوا لمناظرة أرادوها « مناظرة العصر » انتصاراً للعلمانية على الإسلامية ، واختاروا لها عنواناً ملتبساً ، هو : « مصر بين الدولة المدنية والدينية » .

وقرروا أن تكون هذه المناظرة هي فاتحة النشاط الثقافي لمعرض القاهرة الدولي للكتاب - يناير سنة ١٩٩٢م . . . وكما اختاروا - هم وحدهم - عنوان المناظرة . . . اختاروا - هم وحدهم أيضاً - أسماء المتحاورين والمتناظرين . . . اختاروا - من الجانب العلماني :

- الدكتور فرج فودة . . . والدكتور محمد أحمد خلف الله . . . والأستاذ حسين أحمد أمين - الذي اعتذر في اللحظات الأخيرة . . . ومن الجانب الإسلامي اختاروا :  
- الشيخ محمد الغزالي . . . والمستشار محمد المأمون الهضيبي . . . هذا عن المناخ الذي عُقدت فيه هذه المناظرة . . . وعن التخطيط والتدبير الذي هيا لها . . .

\* \* \*

أما علاقتي بهذه المناظرة - التي غدت أشهر مناظرات القرن العشرين على الإطلاق - فإن لها قصة لم تُكتب قبل الآن . . .

● لقد بحثوا عن مدير لجلسات المناظرة ، ينظم الحوار ويوزع الوقت بين المتحاورين . . واستشار الدكتور سمير سرحان وزير الثقافة فى ذلك الوقت الأستاذ الدكتور أحمد هيكل . . فأشار عليه بأن يعهد إلى بإدارة الحوار ، مزكيا حياى وموضوعيتى ، ولما لى من كتابات فى الموضوع الذى سيدور حوله الحوار . . ولقد أخذ الدكتور سمير سرحان بمشورة الدكتور أحمد هيكل . . وتم الاتفاق معى على أن أقوم بإدارة المناظرة والحوار . . وطبعت الهيئة العامة للكتاب البرنامج ونشرته فى الصحف - على هذا الأساس - . .

● وصبيحة يوم المناظرة - ٨ يناير سنة ١٩٩٢م - . . وقبل مغادرتى المنزل إلى حيث معرض القاهرة الدولى للكتاب ، لإدارة الحوار بين المتناظرين ، ألقىت نظرة على صحيفة « الأهرام » حيث الإعلان عن النشاط اليومى للبرنامج الثقافى للمعرض . . ففوجئتُ بأن اسمى قد نُقل من إدارة المناظرة ، إلى حيث وُضعتُ ضمن الفريق الإسلامى - مع الشيخ الغزالى والمستشار الهضيبى . . بينما وضع الدكتور سمير سرحان مديراً للمناظرة !! . .

ولقد علمت - فيما بعد - أن الدكتور فرج فودة شكك فى حياى كمدير للمناظرة وتخوف من محاباتى للفريق

الإسلامى . . فتم نقلى - دون علم ولا اتفاق! - إلى موقع المناظر والمحاور . . بدلاً من مدير الحوار! . .

وهكذا غادرت المنزل إلى حيث المناظرة ، دون أى إعداد ولا استعداد . . اللهم إلا التوكل على الله . . وتلاوة الآيات القرآنية التى اعتدت تلاوتها فى مثل هذه المناسبات : ﴿ سَنُقَرِّئُكَ فَلَا تَنْسَى ۗ ﴿٦﴾ (الأعلى: ٦، ٧) .

\* \* \*

وإلى أرض المعارض - بمدينة نصر - زحفت حشود لم يسبق لها مثيل فى تاريخ المناظرات والمحاضرات . . حشود جاءت من مختلف محافظات مصر - فضلاً عن القاهرة - زاد عددها على الثلاثين ألفاً . . ولأن القاعة لم تسع إلا جزءاً محدوداً من هذه الحشود ، فلقد افترشوا حدائق المعرض وطرقاته . . بل وأسطح السيارات! . . حتى اضطرت إدارة المعرض إلى غلق أبوابه حتى لا تتزايد أعداد هذه الحشود! . .

● وكان التدبير العلمانى للمناظرة - بعد تحديد الموضوع . . واختيار العنوان . . وأسماء المتحاورين - قد بيت لاحتكار تسجيل المناظرة للتحكم فى إذاعتها - غير أن الله قد يسر إفلات إحدى « الكاميرات » - التى حملها الإعلامى الأستاذ محسن راضى - فدخل بها خلصة إلى قاعة المناظرات . . فتم التسجيل لوقائع هذه

المناظرة التاريخية - التي يجد القارئ نصها كاملاً فى صفحات هذا الكتاب . .

● وبعد الفراغ من المناظرة . . واصل التدبير العلمانى سعيه ليذيع ما يريد إذاعته وليحذف ما يريد حذفه من وقائع المناظرة! - المسجلة على شريط « فيديو » . . فذهبوا إلى التلفزيون المصرى لعمل « المونتاج » الذى يحقق لهم ما يريدون . . ويتم هذا « المونتاج » تحت إشراف الدكتور فرج فودة . . وهناك كانت المفاجأة التى تنتظر هذا التدبير العلمانى . . ذلك أن السيدة المستولة عن عمل « المونتاج » قد طلبت منهم - بوازع من ضميرها - أن يحضر الدكتور محمد عمارة مع الدكتور فرج فودة عملية « المونتاج » . . وهددتهم بإفساد الشريط إذا هم أصروا على انفراد فرج فودة بالقيام على عمل « المونتاج »! . .

ولقد بحثت هذه السيدة الفاضلة - واسمها « لميس بدران » - عن رقم هاتفى ، وأخبرتني بهذا التدبير العلمانى . . وبالموقف الذى اتخذته حياله .

وأمام هذا المأزق ، عدل العلمانيون عن إذاعة وقائع المناظرة .. ووضعوا « شريط الفيديو » فى « الدرج »! . . وهنا كان دور الشريط الذى سجله الإعلامى الأستاذ محسن راضى . . والذى تم نسخه ليصل إلى مختلف أنحاء المعمورة . . وليطبع - فى صورة

كتاب - عدة طبعات . . حتى لقد ذهبت لأداء فريضة الحج فى ذات العام . . وبعد أشهر من حدوث هذه المناظرة التاريخية . . فوجدت الكثيرين قد جاءوا من مختلف بلاد العالم الإسلامى - والجاليات المسلمة خارج عالم الإسلام - وقد شاهدوا وقائع هذه المناظرة - على شريط « الفيديو » . . بل وهم يحفظون ويرددون بعض العبارات المثيرة التى وردت فى المناظرة والحوار! . .

\* \* \*

تلك سطور رأيها ضرورية ، لبيان المناخ الفكرى الذى وقعت فيه هذه المناظرة . . والتدبير العلمانى الذى خطط لها . . وليبيان علاقتى بهذه المناظرة التاريخية - التى غدت أشهر مناظرات القرن العشرين - . . والتى زاد من أهميتها وخطرها : الموضوع الذى دارت حوله :

- الدولة المدنية ذات المرجعية الإسلامية ؟

- أم الدولة العلمانية ؟ .

وهو الموضوع الذى يحتدم حوله الجدل الشديد هذه الأيام . . الأمر الذى استدعى تقديم هذه المناظرة التاريخية - كاملة - إلى الباحثين والقراء من جديد . .

إنها صفحة من تاريخ الصراع الفكرى بين العلمانية والإسلام ..  
نقدمها إلى القراء - بعد عشرين عاماً من حدوثها . .  
سائلين الله - سبحانه وتعالى - أن ينفع بها . . إنه خير مسؤل  
وأكرم مجيب ؟

أول مايو سنة ٢٠١١م

٢٨ جمادى الأولى سنة ١٤٣٢هـ

دكتور

محمد عمارة